



الكرسي الرسولي

HOLY MASS FOR THE CLOSING OF THE XV ORDINARY GENERAL ASSEMBLY OF THE SYNOD OF BISHOPS

عظة قداسة البابا فرنسيس

خلال القداس الإلهي

بمناسبة اختتام السينودس الخاص بالشبيبة

الأحد 28 أكتوبر/تشرين الأول 2018

Multimedia

إن الفقرة التي سمعناها الآن هي الأخيرة التي يروها الإنجيلي مرقس عن رسالة يسوع في تنقله، قبل أن يدخل بعدها بقليل إلى أورشليم كي يموت ويقوم من الموت. وكان بالتالي برطيمائوس الأخير في أتباع يسوع على طول الطريق: ويتحوّل من شحاذ جالس على جانب طريق أربحا إلى تلميذ يسير برفقة التلاميذ الباقين إلى أورشليم. لقد سرنا نحن أيضاً معاً، لقد "عشنا السينودس" والآن يختم هذا الإنجيل ثلاث خطوات أساسية لمسيرة الإيمان.

لننظر أولاً إلى برطيمائوس: اسمه يعني "ابن طيماؤس". والنص يحدده: "ابن طيماؤس، برطيمائوس" (مر 10، 46). ولكن هناك تناقض ما: الوالد غير موجود فيما أن الإنجيل يؤكد. برطيمائوس يجلس وحده على جانب الطريق، خارج البيت ودون أب: ليس محبوباً، بل إنه متروك. هو أعمى وليس له من يصغي إليه؛ وحين كان يريد التكلم كانوا يسكتونه. يسوع يسمع صراحه. وعندما يلتقي به يدعه يتكلم. لم يكن من الصعب تخمين ما سيطلبه برطيمائوس: من الواضح أن الأعمى يريد أن يستعيد النظر. لكن يسوع لا يتسرّع، بل يعطي الوقت للإصغاء. هذه هي الخطوة الأولى لمسيرة الإيمان: الإصغاء. إنه العمل الرسولي الخاص بالأذن: الإصغاء، قبل التكلم.

ولكن على العكس، فالكثير ممن كانوا مع يسوع كانوا ينتهرونه كي يسكت (را. آية 48). فالحاجة بالنسبة لهؤلاء التلاميذ كانت ازعاجاً لهم في طريقهم، أمراً غير متوقّع في برنامجهم المعد. كانوا يفضلون أوقاتهم على أوقات المعلم، وأقوالهم على الإصغاء للآخرين: كانوا يتبعون يسوع، ولكن كان لديهم مشاريعهم. وهذا خطر علينا التنبه منه على الدوام. أما بالنسبة ليسوع، فصرخة الذي يطلب العون ليس بإزعاج يعوق المسيرة، إنما طلب حيوي. كم هو مهم بالنسبة لنا أن نصغي إلى الحياة! أبناء الآب الحيّ يصغون إلى الإخوة: لا إلى الثروة غير المفيدة، إنما إلى حاجات القريب. الإصغاء بمحبة وصبر، كما يصغي الله إلينا، في صلواتنا التي غالباً ما تتكرر. الله لا يتعب أبداً، يفرح دائماً عندما نبحث عنه. لنطلب نحن أيضاً نعمة اقتناء قلب طيب للإصغاء. أودّ أن أقول للشبيبة باسمنا جميعاً نحن البالغين: اغفروا لنا إن كنّا غالباً ما لم نصغ إليكم؛ إن كنّا، بدل أن نفتح لكم قلوبنا، قد ملأنا آذانكم. نريد، ككنيسة يسوع، أن نصغي إليكم بمحبة، ونحن على يقين من أمرين: أن حياتكم هي ثمينة بنظر الله، لأن الله شابّ ويحبّ الشبيبة؛ وأن حياتكم هي ثمينة أيضاً بالنسبة إلينا، لا بل ضرورة للمضيّ قدماً.

بعد الإصغاء، هناك خطوة ثانية لمرافقة مسيرة الإيمان: *التقرب من الآخرين*. لننظر إلى يسوع الذي لم يوفد أحداً من "الجمع الكثير" الذي كان يتبعه، إنما ذهب للقاء برطيمائوس بنفسه. قال له: "ماذا تريد أن أصنع لك؟" (آية 5). ماذا تريد: يسوع يساوي نفسه ببرطيمائوس، لا يتخلّى عن تطلّعاته؛ أن صنع: أن أصنع، ليس فقط أن أقول؛ لك: لا بحسب أفكار محدّدة مسبقاً لأيّ شخص كان، إنما لك، في وضعك. هذا ما يصنع الله، متدخلاً شخصياً وبدلالة كبيرة لكلّ منّا. رسالته تمرّ عبر طريقته بالتصرّف: هكذا ينمو الإيمان في الحياة. فالإيمان يمرّ في الحياة. عندما يركّز الإيمان على الصيغ العقائديّة فقط، قد يتحدّث إلى الفكر فقط، دون أن يلمس القلب. وعندما يركّز فقط على الأعمال، قد يصبح عملاً أخلاقياً أو يقتصر على الأعمال الاجتماعية. لكن الإيمان على العكس هو حياة: هو عيش محبة الله التي غيرت حياتنا. لا يسعنا أن نكون علماء شريعة أو نشطاء؛ لقد دعينا لحمل عمل الله على التقدّم بحسب طريقة الله، في *التقرب*: قريين منه، وبشركة فيما بيننا، وقريين من الإخوة. *التقرب*: هذا هو السرّ لنقل قلب الإيمان، لا بعض الجوانب الثانوية.

التقرب هو حمل جدّة الله في حياة الأخ، هو الترياق ضدّ تجربة الوصفات الجاهزة. لنسأل أنفسنا إذا كنّا مسيحيين قادرين على أن نكون قريين، وعلى الخروج من دوائرنّا لمعانقة أولئك الذين "ليسوا منّا" والذين يبحث الله عنهم بتوق. هناك التجربة التي تعود عدّة مرات في الكتب المقدّسة: غسل الأيدي. هذا ما يصنعه الجمع في إنجيل اليوم، وهذا ما صنعه قاين مع هاويل، وهذا ما سوف يصنعه بيلاطس مع يسوع: غسل الأيدي. أمّا نحن فعلى العكس نريد أن نتشبه بيسوع، وأن نوسخ أيدينا مثله. هو الحياة (را. يو 14، 6)، وقد توقّف في الطريق من أجل برطيمائوس؛ هو نور العالم (را. يو 9، 5) وقد انحنى على أعمى. لنعترف أن الربّ قد أوسخ يديه من أجل كلّ واحد منّا، ولننطلق ونحن ننظر إلى الصليب، ننطلق ونحن نتذكّر أن الله قد صار قريبي في الخطيئة وفي الموت. لقد صار قريبي: كلّ شيء يبدأ من هنا. وعندما نتقرب نحن أيضاً من الآخرين محبةً به، نصبح حاملين حياة جديدة: لا معلّمي الجميع، ولا خبراء الأمور المقدّسة، إنما شهود للمحبة الغادية.

الشهادة هي الخطوة الثالثة. لتأمّل بالتلاميذ الذين دعوا برطيمائوس: لم يأتوه، هو الشحاذ، بعملة صغيرة تهدّته ولم يقدّموا له النصائح؛ بل ذهبوا باسم يسوع. ووجهوا إليه في الواقع كلمات ثلاث فقط، وكلّها ليسوع: "تشدّد! فم. يدعوك" (آية 49). وحده يسوع في باقي الإنجيل يقول *تشدّد!*، لأنه وحده يقيم القلب. وحده يسوع في الإنجيل يقول فم، كي يشفي الروح والجسد. وحده يسوع يدعو، فيغيّر حياة الذي يتبعه، ويقيم من كان على الحضيض، ويحمل نور الله في ظلام الحياة. فالكثير من الأبناء، الكثير من الشبيبة، مثل برطيمائوس، يبحثون عن نور في الحياة. يبحثون عن حبّ حقيقي. وهم أيضاً، مثل برطيمائوس الذي، بالرغم من وجود جمع كثير، استغاث بيسوع فقط، يناشدون الحياة، ولكنهم غالباً ما يلغون وعوداً زائفة وقليلًا من الأشخاص الذين يهتمّون لأمرهم حقاً.

ليس من المسيحيّ أن نتظر أن يقرع بابنا الإخوة الذين يبحثون عن أجوبة؛ علينا ان نذهب إليهم، ونحمل معنا، لا أنفسنا، بل يسوع. فهو يرسلنا مثل هؤلاء التلاميذ، كي نشدّد الآخرين ونقيمهم باسمه. يرسلنا كي نقول لكلّ منهم: "يطلب منك الله أن تسمح له بأن يحبّك". كم من مرّة قد حملنا للآخرين، بدل رسالة الخلاص هذه المحرّرة، أنفسنا، و"وصفاتنا" الخاصّة، و"علاماتنا" في الكنيسة! وكم من مرّة، بدلا من أن تتبنّى كلام الربّ، قد "بعنا" أفكارنا على أنها كلامه! كم من مرّة يشعر الناس بثقل مؤسّساتنا أكثر من حضور يسوع الصديق! فنبدو وكأننا منظمّة غير حكوميّة، أو منظمّة شبه حكوميّة، لا على أننا جماعة المخلّصين الذي يعيشون فرح الربّ.

الإصغاء *التقرب*، الشهادة. إن مسيرة الإيمان في الإنجيل تنتهي بشكل جميل ومفاجئ، مع يسوع وهو يقول: "إذهب! إيمانك خلّصك" (آية 52). لم يعلن برطيمائوس إيمانه، ولم يقيم بأيّ عمل؛ لقد التمس فقط الرحمة. فالشعور بالحاجة إلى الخلاص هو بداية الإيمان. هو الطريق المباشر للقاء يسوع. إيمان برطيمائوس لم يكمن في أفكاره الواضحة حول الله، إنما في بحثه عنه، في رغبته بأن يلتقيه. الإيمان هو مسألة لقاء، لا نظريّة. يسوع يمرّ باللقاء، وباللقاء ينبض قلب الكنيسة. وما هو فعّال حقاً إنما هي شهادة حياتنا لا عظامنا.

ولكم جميعاً أنتم الذين شاركنم بهذا "السير معاً"، أقول شكراً على شهادتكم. لقد عملنا بشركة وبصراحة، راغبين بخدمة الله وشعبه. ليبارك الربّ خطواتنا، كي نستطيع أن نصغي إلى الشبيبة، وأن نتقرب منهم، ونشهد أمامهم لفرح

© جميع الحقوق محفوظة - حاضرة الفاتيكان 2018

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana